النوع والعدد بين الإنكليزية والعربية. التباسات تشوب عملية الترجمة.

د/جمال قوي.
أستاذ محاضر بجامعة ورقلة.

تقديم:

إن السرَّ في تحقيق الوظيفة التواصلية عند أغلب اللّغات، هو خضوعها إلى مجموعة قواعد تنظم سيرورتها، وتجعل منها لغة مفهومة واضحة، يتفق الجميع على أنها تؤدي معنىً معيناً من خلال جملة ما، وتؤدي رسالةً معينةً من خلال نص ما، إلا أن الملاحَظ هو أن هناك تأثيرات داخلية وخارجية، نقصد بذلك عوامل لسانية وأخرى لا لسانية، تجعل من النظرات إلى الأشياء تختلف من حضارة إلى أخرى، ومن مكان إلى آخر، ومن زمن إلى آخر، وبالتالي من لغة إلى أخرى. ذلك أن اللغة تَتْبع الإنسان في كل مكان، وزمان، متحضراً كان أو بدوياً، مثقفاً أو غير ذلك. فنفس الفكرة يُعبِّر عنها الإنجليزي بطريقة معينة، ويُعبِّر عنها الفرنسي بطريقة أخرى، ويعبر عنها العربي بطريقة قد تكون كاملةَ الاختلاف، لسنا نقول بهذا إن هناك تعارضا بين اللغات، إنما نريد أن نقول إن هناك اختلافات لغوية جمة في التعبير بين اللغات على مستويات عدة، قد تكون تركيبة، أو أسلوبية، أو نحوية قد تجعل من عملية الترجمة عملية تزدادُ صعوبةً بزيادة الاختلافات وحدّتها.

1. ضبط المفاهيم:

تُعد ظاهرة النوع والعدد في العربية وفي الإنكليزية من بين المجالات اللغوية التي تعبّر بوضوح عن الاختلاف في النظام اللساني والنظرة المختلفة للعالم« world vision/world view » [1] بين هاتين اللغتين، إذ تمثّل بذلك ثنائيتين متقابلتين في الوظيفة « function » والموضوع « object »، من ناحية أنّ كليهما يدرس التفريق النحوي بين الجنسين المذكر والمؤنث، وكذا العددي، أي دراسة ما يمكن أن ينسب إلى الجنس المذكر أو إلى الجنس المؤنث أو غيره من الأجناس إن وُجد إضافة إلى عدِّهم وحسابهم.

إن أهم ما يلاحظ من خلال دراسة هذه الثنائية أي النوع والعدد في اللغتين العربية والإنكليزية، هو عدم تطابق النوع النحوي « grammatical gender » - الذي هو موضع دراسة النحو- مع النوع البيولوجي أو الطبيعي « biological/natural gender » (الجنس)، أو بتعبير آخر "الجنس" كما هو في الطبيعة، وينطبق الأمر هذا في اللغتين العربية والإنكليزية كما سنرى فيما سيلي.

إن هذا الاختلاف وعدم التطابق بين الجنسين: الطبيعي البيولوجي و الجنس النحوي سواء في اللغة الإنكليزية أو في اللغة العربية، أدى إلى تنافر نظرة كل لغة عن نظرة الأخرى، فيما يتعلق بالجنس أو النوع النحوي، ومردّ هذا هو في الحقيقة غياب معيار موحد بين اللغات يجعل من بعض ما يراه العربي على الأقل مذكّرا عند الإنجليز أو الفرنسيين مؤنثاً أو العكس، فكلمة مسجد على سبيل المثال مذكرة في اللغة العربية ومؤنثة في الفرنسية La « mosquée»، ولا هي مذكرة ولا مؤنثة عند الإنجليز « mosque »، مما يجعلنا نتذكر تلقائيا اعتباطية العلاقة« arbitrary relation » [2] بين الدال والمدلول عند "دي سوسير"De Saussure " ومنظّري اللسانيات، فهنا نفس المدلول بمجموعة أنواع/ أجناس مختلفة.

وقد أدى هذا التنافر في الدلالة بين اللغات بدوره إلى اختلاف شديد في التقسيمات من ناحية النوع بين اللغة العربية وبين اللغة الإنكليزية.

2.النوع في الإنكليزية والعربية وتقسيماته:

تقسم اللغة الإنكليزية النوع « gender » إلى قسمين كبيرين هما عاقل « personal » وغير عاقل« non personal » ، ثم ها هي تقسم العاقل إلى اثنين هما الجنس المذكر والجنس المؤنث، وترك غير العاقل على حاله، بمعنى كل مذكر أو مؤنث من غير العاقل، وبالتالي يمكن القول إن اللغة الإنكليزية تقسم النوع إلى ثلاثة أقسام كبرى، هي: أولا المذكر « masculine »، وثانيا المؤنث« feminine » ، وثالثا غير العاقل« non personal » ، ويسمى أيضا بالمحايد« neuter » ، ويقصد به ما لا يُعد مذكرا ولا مؤنثا.

في مقابل هذا ترى اللغة العربية أن تُقسم النوع إلى قسمين كبيرين لا ثالث لهما –على خلاف الإنكليزية- ، والأقسام الكبرى للنوع في اللغة العربية هي: أولا المذكر وهو "ما يصح أن نشير إليه بلفظة "هذا" [3] (راجي الأسمر: 1992، 127)، وثانيا وأخيراً المؤنث وهو ما يصح أن نشير له بلفظة "هذه" [4] (أحمد بن إبراهيم الهاشمي، **1999**332)، أما غير العاقل أو المحايد- كما في الإنكليزية- فلا وجود له نوعا مستقلا بذاته في العربية، إنما يندرج مؤنثه في المؤنث، ومذكره تحت غطاء المذكر من منظور العربية، لذلك تقسم العربية النوعين الأساسيين إلى أقسام صغرى فرعية، هي المذكر الحقيقي والمذكر المجازي، والمؤنث الحقيقي والمؤنث المجازي.

ويعبر المذكر الحقيقي على: "ما كان له أنثى من جنسه مثل: "رجل ـ إمرأة"، "خروف ـ نعجة""[5] (محمد حسني الداقوتي، 1996 :9)، ويعبر المؤنث الحقيقي عن: "كل ما دل على إنسان، أو حيوان، أو طير، يلد أو يبيض، مثل إمرأة، بقرة، عصفورة"[6] (سليمان فياض، 1995: 17) ليحوي المذكر المجازي والمؤنث المجازي ما هو ليس بعاقل كما في الإنكليزية، ومع ذلك يبقى التقسيم العربي للنوع هو المذكر باعتباره قسماً رئيسياً أولاً، والمؤنث باعتباره قسماً رئيسياً

ثانياً، ذلك أن نفس اللوازم اللغوية التي تستعمل للمؤنث المجازي هي تلك التي تستعمل مع المؤنث الحقيقي، ونفس الحال منطبقة مع المذكر ونقصد بهذا الإشارة بلوازم المذكر أو المؤنث أو زيادة علامات التأنيث، وبالرغم من كون الإنكليزية قسّمت النوع إلى ثلاثة أقسام، الأمر الذي يعدّه الإنكليز دقّةً لغوية، إلا أن الالتباسات على مستوى النوع التي نلحظها في اللغة الإنكليزية كثيرة جداً خاصة عندما يتعلق الأمر بعملية الترجمة من وإلى العربية.

3.3. العدد في الإنجليزية والعربية وتقسيماته:

أما من ناحية العدد، فتتفق اللغتان أي الإنكليزية والعربية من حيث موضوع دراسته، أما من ناحية التقسيمات، فتختلف اختلافا يحدث شرخا كبيرا ويفتح المجال لصعوبات في عملية الترجمة خاصة إلى العربية، فبينما تقسم الإنكليزية العدد « number » من منظورها إلى المفرد « singular » ويشمل على ما يعبر على عنصر واحد[7] ، والجمع « plural » ،و يندرج فيه كل ما فاق العنصر الواحد مهما كان نوعه[8] .

وتقسم العربية العدد من منظورها إلى ثلاثة أقسام كبرى هي: المفرد وهو ما عبّر عن عنصر واحد، والمثنى وهو ما يعبّر عن اثنين، والجمع وهو ما يعبّر به عن أكثر من اثنين، مما يعني أن الجمع الإنجليزي يعادل في العربية قسمين مجتمعين معا هما المثنى العربي إضافة إلى الجمع العربي، وبالتالي فالعربية هنا أكثر تفصيلا من ناحية العدد، مما يخلق صعوبات أخرى في عملية الترجمة إلى العربية.

أصبح الآن من البديهي التسليم بمجموعة الاختلافات الناتجة عن ثنائية النوع والعدد في كل من اللغة العربية والإنكليزية، التي حتما تودي إلى مصاعب عند عملية الانتقال أو الترجمة من أو إلى العربية.

4.صعوبات الترجمة في ظل اختلافات النوع والعدد بين الإنكليزية والعربية:

فمن ناحية النوع وعلى مستوى الكلمات مثلاً في اللغة الإنجليزية، نلاحظ أن هناك عدداً هائلا من الكلمات التي يلتبس نوعها أو جنسها، ونجد أن نفس الكلمة تستعمل تارة للدلالة على المذكر، وتارة أخرى للدلالة على الجنس المؤنث، ونجد لهذه الكلمات قائمة لا حدود لها في اللغة الإنكليزية، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

كلمة« *child* » التي يمكن أن تحمل معنى الجنس المذكر، كما تحمل معنى الجنس المؤنث، بمعنى أنه يمكن أن تترجم إلى العربية بكلمتين حسب الموضع فتصلح أن تترجم إلى "طفل"، كما تصلح ويصح أن تترجم إلى "طفلة"، فكلمة واحدة تعبر في الإنكليزية عن جنسين اثنين مما يشكل التباسا عند الترجمة خاصة في غياب مقام « situation » [9] أو سياق « context ».[10]

وكذلك نجد الالتباس من ناحية النوع، في كلمات إنكليزية أخرى، على غرار كلمة « *friend* " التي يمكن ترجمتها إلى "صديق" تارة و"صديقة" تارة أخرى، كذلك كلمتي "جار"

و"جـارة« neighbour»" وينطبـق الأمـر مـع جـلّ الجنسـيات إن لم نقـل كلـها إذ تحمـل معنـى الذكـر والأنثى في طياتها الدلالية على حد سواء مثل:

كلمة "*British*" بريطاني وبريطانية، "*Algrian*" جزائري وجزائرية،.....وهـذا ما يسميه "راندولف كويرك"[11] Randolph Quirk بالجنس أو النوع الثنائي.

ولسنا من خلال هذه الأمثلة نقول إن اللغة الإنكليزية كلها كلمات ملتبسة، إنما هناك كلمات جنسها واضح، ولا يمكن استعمالها مع الجنسين المذكر والمؤنث، بل يصلح استعمالها فقط مع جنس واحد، دون الآخر، وتبقى دوما حكرا عليه، وأمثال ذلك كثيرة فكلمة «king» مثلا لا يمكن إطلاقها على المؤنث، إنما تبقى حكرا على الجنس المذكر، وتترجم إلى "ملك"و لا يمكن بأي حال أن تحمل المعنى المؤنث، ذلك أنها لها في المقابل كلمة أخرى تحمل نفس الدلالة، ولكن لصالح المؤنث، وهي كلمة "*queen*"التي تترجم إلى "ملكة"، للدلالة على الجنس المؤنث دون المذكر، وكذلك في " *woman* امرأة "التي يقابلها " *man* رجل"فلا يمكن استعمال كلمة" *woman*"، للدلالة على الجنس المذكر، ولا يمكن استعمال كلمة*"man*" أيضا للدلالة على الجنس المؤنث، فهي كلمات واضحة، لا التباس فيها من ناحية النوع وبالتالي تخلو من أيّ شوائب تجعل من عملية الترجمة صعبة، إذ يمكن ترجمة هذه الكلمات حتى في ظل غياب سياق أو مقام.

والحقيقة أن الالتباس من ناحية النوع في اللغة الإنكليزية لا يمس الأسماء فقط، بل يمتد ليمس أقساما أخرى من أقسام الكلام «parts of speech»[12] في اللغة، منها الضمائر « pronouns » التي نلحظ فيها التباسات كثيرة، تجعل الجنس النحوي وكذا البيولوجي يختفي في الضمير ولا يبرز مطلقا.

4 .1 ترجمة الضمائر: معنى Pronouns: « الضمائر هي كلمات تأتي بدلا عن الاسم أو الجملة الاسمية أو مجموعة جمل اسمية، والسابقة "*pro*" هي لاتينية الأصل بمعنى "بَدَلَ"»[13].

وتُعد أغلب الضمائر الإنكليزية ملتبسة من ناحية النوع، إذ إن أغلبها صالح للاستعمال من لدن الجنسين، أو إن أغلبها يدل على الجنسين دون تفرقة أو توضيح، مما يجعل الأمر ملتبسا، وخاصة حين محاولة الترجمة إلى العربية، ونلاحظ ذلك جليا في كل أنواع الضمائر من شخصية « personal pronouns »، أو ملكية "possessive pronouns"، أو انعكاسية "reflexive pronouns"، أو غيرها من أنماط الضمائر الإنكليزية.

فالضمير "I" مثلا بمعنى "أنا" صالح للاستعمال، بالنسبة للمذكر وكذلك بالنسبة للمؤنث، لكنه يتعادل في الالتباس مع نظيره " أنا" في العربية، مما يقلل الخطر أو احتمالية الوقوع في الخطأ عند الترجمة، نظرا لتعادل الشحنات الالتباسية .

لكنه يبقى رغم ذلك مصدر التباس عند الترجمة الى العربية على مستوى النوع مثل في جملة:

« I am happy » والتي يمكن ترجمتها نظرا للالتباسات التي يطرحها الضمير الشخصي الإنكليزي « I » إلى الاحتمالات التالية:

1.أنا سعيد.

2.أنا سعيدة.

ويشتّد الالتباس مع الضمير الإنجليزي "*You*" الذي يُعد ملتبساً من ناحية النوع والعدد معا، فالتباسه مضاعف، مما يجعله من أكثر الضمائر التباسا إذ لا يمكن لنا الاستقرار على ترجمة واحدة له في اللغة العربية، بل يمكن أن نترجمه بقائمة من الضمائر العربية، التي تنطبق على حاله وهي:

1."أنتَ" للتعبير عن المذكر المفرد/

2." أنتِ" للتعبير عن المذكر المؤنث /

3."أنتما" للتعبير عن المذكر المثنى /

4."أنتما" للتعبير عن المؤنث المثنى /

5."أنتم" للتعبير عن المذكر الجمع /

6." أنتنّ" للتعبير عن المؤنث الجمع.

ونفس الاحتمالات في مثل جملة: « You are happy » .

التي يمكن ترجمتها الى ما يلي بسبب الضمير الشخصي الإنكليزي:

1.أنت سعيد.

2.أنتِ سعيدة.

3.أنتما سعيدان.

4.أنتما سعيدتان.

5.أنتم سعداء.

6.أنتن سعيدات.

كل هذه الترجمات هي ترجمات لضمير إنكليزي واحد، مما يوحي بالتباسه القوي جدا من ناحيتي النوع والعدد، وتنطبق حال الالتباس مع الضمائر الأخرى مثل "*They*" التي هي الأخرى يمكن ترجمتها بقائمة طويلة من الضمائر العربية، وغيرها من الضمائر الإنكليزية، وتبقى فقط ضمائر الغائب المفرد الإنكليزية، التي لا تحمل التباسا كبيرا، إذ نجد فيها قائمة من الضمائر، تُفرِّق في طياتها بين المذكر، و المؤنث، وغير العاقل، وهي كما قلنا ضمائر الغائب المفرد باختلاف نوعها أو شكلها أو حالتها ويمكن تلخيصها فيما يلي:

	الضمائر الشخصية		ضمائر الملكية		الضمائر الانعكاسية
	حال الفاعل	حال المفعول	حال الفاعل	حال المفعول	
مذكر	*he* (هو)	*him* (ه)	*his* ه)	*his* (ه)	*himself* "ذاتـــه - نفسه "
مؤنث	*she* (هي)	*her* (ها)	her (ها)	*her* (ها)	*herself* "ذاتهـــا - نفسها"
غير عاقل	*It* (هو/هي) لغير العاقل	*It* (ه+ها) لغير العاقل	*Its* (ه+ها) لغير العاقل	*Its* (ه+ها) لغير العاقل	*Itself* "ذاتـــه - نفسها" "نفسه- نفسها" لغير العاقل

أما الأنواع الأخرى من الضمائر من تبادلية، وإشارة، وموصولة، واستفهامية ومبهمة فهي أشد إلتباسا، لا نلحظ فيها التفريق على مستوى النوع مطلقا، خلا بعض الإشارات الخفيفة إلى عاقل وغير عاقل، كما في الموصولة والاستفهامية، والتي تحدث أحيانا أيضا مع الضمائر التبادلية، وأسماء الإشارة، فليس هناك أدنى إشارة للنوع، فتلك الضمائر تُستعمَل مع كل الأجناس، من مذكرها ومؤنثها، وحتى غير العاقل. أما التفريق العددي فيها فنسبي، مما يسبب التباساً شديداً خاصة عند ترجمتها، ذلك أن اللغة العربية تعطي النوع لكل عنصر من عناصرها ولوازمها اللغوية، ولا تترك أبداً مجالا للريب أو الاشتراك في الجنس.

4. 2 ترجمة الصفة/النعت: وتُعد الصفة أو النعت إحدى أقسام الكلام في الإنكليزية، التي قد تساهم في كشف أو إخفاء الجوع النحوي، لما لها من الدلالات البيولوجية في أحيان كثيرة، إذ لاحظنا وجود بعض النعوت، التي يقتصر استعمالها مع الجنس المذكر دون المؤنث، مثل *beard-shaved* بمعنى "حليق اللحية"، فلا يمكن لامرأة أو لمؤنث، أن تكون حليقة اللحية، ذلك أن هذا يدخل في الخصائص البيولوجية للمذكر، وغيرها من الأمثلة كثير مثل *moustachous* أي "ذو شوارب"، فلم نجد من الجنس المؤنث ماله شوارب، وفي مقابل ذلك لاحظنا وجود بعض الصفات التي تبقى دوما حكرا على المؤنث، دون المذكر، وهي في الحقيقة الصفات التي لها علاقة بما هو مؤنث بيولوجياً مثل صفة *'pregnant'* بمعنى "حبلى" لم نرها أبدا تستعمل مع المذكر، أو صفة *virgin* بمعنى "عذراء" وغيرها من الصفات التي تلحق بالجنس المؤنث دون الجنس المذكر، وينطبق الحال في اللغة العربية في

وجود بعض الصفات التي تدل على المذكر دون المؤنث، وأخرى تلحق بالمؤنث دون المذكر، ذلك أن العربية يمكن أن تستوعب نفس الصفات الإنكليزية.

كما أن هناك صفات في الإنكليزية يصلح استعمالها فقط مع غير العاقل، ذلك أنها لا تصلح مع العاقل، إلا في مواضع كنائية مثل صفة "torn " بمعنى "ممزّق"، فهي صفة عادة ما تقترن بالورق مثلا وبالتالي غير العاقل، أو صفة expired بمعنى "منتهي الصلاحية"، التي تستعمل عادة مع المواد الغذائية أو الأدوية وبالتالي غير العاقل.

ولسنا نقول بهذا إن كل الصفات الإنكليزية والعربية تدل دوما على النوع، إلا أننا نود القول إن الصفة تُعد وحدة شارحة للنوع في كثير من الحالات إذ بها يقضى على الالتباس في كثير من المواضع، وتبقى العربية أكثر إيضاحا للصفة من ناحية النوع، من خلال علامات التأنيث التي قد تلحق بالنعت، فيُعرف إذا كان يدل على مذكر أو مؤنث، أما في الإنكليزية فإن الشكل الصرفي للصفة، لا يوحي بالنوع المراد التعبير عنه، فصفة " giant عملاق"، في شكلها الصرفي لا توحي بالدلالة على أي نوع، فلا تدري إذا كان "giant man" بمعنى رجل عملاق أوgiant woman إمرأة عملاقة، أو" giant thing" بمعنى شيئ ضخم.

ففي الشكل الصرفي برزت في العربية تاء التأنيث، ولحقت بالصفة " عملاق" للدلالة على المؤنث، أما في الإنكليزية فيبقى الشكل الصرفي دون تغيير.

4. 3 اسم العلم: ومن جهة أخرى يُعد اسم العلم سواء في العربية أو الإنكليزية، من بين المؤشرات الهامة الدالة على النوع والعدد، ذلك أن اسم العلم يكاد يتطابق تطابقا اعتباطيا كاملاً مع النوع/ الجنس البيولوجي، ففي الإنكليزية لم نجد قط اسم "جاك *Jack* " يطلق على المؤنث، ذلك أن الإنكليز اتفقوا على أن اسم "جاك" يمنح للمذكر من أبنائهم، كما لا نجِد اسم *Sarah* "سارة"، يطلق على المذكر، ذلك أن الإنكليز اتفقوا على أن يرتبط هذا الاسم بالمؤنث.

وكذا الحال في العربية، التي لم نشهد فيها مؤنثاً باسم يونس أو محمد أو إلياس، كما لم نر مذكرا باسم فاطمة أو عائشة، وبالتالي يمكن القول أن لاسم العلم أهمية كبيرة في كشف النوع النحوي، ذلك أنه يعكس الجنس الطبيعي في أغلب الأحيان، فلم نر قط امرأة باسم مذكر أو رجل باسم مؤنث، خلا تلك الأسماء التي شاع استعمالها مع كلا الجنسين المذكر والمؤنث، أو اختلف استعمالها بين جهة وأخرى، أما من ناحية العدد، فيمكن فقط حساب أسماء العلم لمعرفة إن كانت تدل على المفرد أو الجمع أو غيرهما حسب اللغة.

الخاتمة:

لقد أدت هذه الاختلافات بين النوع والعدد في اللغتين العربية والإنكليزية الى التباسات جمة جعلت من المشتغل في عملية الترجمة إزاء مشكلات تجعله يجتهد في تتبع السياق من أجل إيجاد وحدات أو وحدة شارحة تجعل من عملية النقل عملية تحفظ مضمون ومقصود النص الأصلي في محاولة لعكس نفس الشحنة اللغوية في اللغة المنقول لها.

الهوامش:

(1)MOUNIN, George (1963) Les Problèmes Théoriques de la Traduction, Gallimard, Paris P44-45.

(2)SAUSSURE De Ferdinand (1994) Cours De Linguistique Générale, 2ème edition, ENAG edition, Alger. Algerie.

(3)الأسمر راجي (1999) علم النحو " الموسوعة الثقافية العامة " الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت. لبنان. ص27.

(4)الهاشمي أحمد بن إبراهيم (1999)، **القواعد الأساسية للّغة العربية**، تحقيق محمد أحمد قاسم، الطبعة الثانية، المكتبة العصرية. صيدا، بيروت، لبنان. ص. 332

(5)الداقوتي محمد حسني (1996) **قواعد اللغة العربية تبسيط وتوضيح**، الطبعة الاولى، مكتبة الزهراء. عابدين. مصر. ص9.

(6)فياض سليمان (1995) **النحو العصري** " دليل مبسط لقواعد اللغة العربية". الطبعة الأولى. مركز الاهرام للترجمة والنشر. القاهرة. مصر. ص 17.

(7)TRASK R. L (2000) Dictionary of English Grammar, Penguim, Uk. P125

(8)نفس المرجع، ص103.

(9)VINAY Jean Paul & DARBENLET J. (1995) Comparative Stylistics of French and English "a methodology for translation", tarnslated by J. Sager M. J Hamel, John Benjamins publishing company, Amesterdam ، Pheladelephia, Netherlands, USA. P 349.

(10)DELPHIE Charter et autres (1995) Introduction A La Traduction, "méthodologie pratique Anglais – Français", presse universitaire On Mirail. P180.

(11)QUIRK Randolph & GREENBAUM Sidney (1979) A University Grammar of English, 9th impression, Longman London. Uk.

(12)QUIRK Randolph and others (1986) A Comprehensive Grammar of English, 4th impression, Longman. Uk.

(13)CRYSTAL David (1999) The Cambridge Encyclopedia of The English Language, reprinted,Cambridge University press. Uk. P 210.

(14)DE BEAUGRANDE R. A & DRESSLER W. U (1983) Introduction To Text Linguistics, 2nd impression, Longman, London, New York.